بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسانُ مخلوقٌ تتمازج فيه عناصرُ عالَميّ الغيبِ والشهادة، ويُتوصَّلُ إلى خصائصه وما يؤثر فيه عن طريق نصوصِ الوحي دون غيرِها، كالتفكيرِ العقلي القاصر، والعلومِ التجريبية، وما ظهر حديثًا بما يسمى "الماوَرَائيات" .

لذا فإن هذا البحثَ يهدفُ إلى إبراز حقيقةِ المؤثرات الغيبية في النفسِ الإنسانية، واستعراضِ بعضِ النظريات العلمية والفلسفية؛ لتعريفِ الإنسانِ بنفسه جسدًا وروحًا ليرتقي بها، ولا يفتَتِنُ بما يَعرضُ له، وذلك عن طريقِ اتباعِ منهجِ الاستقراء في تتبعِ نصوصِ الوحي؛ للوصولِ إلى حقيقة هذه المؤثرات من منظورٍ إسلامي، ثم مقابلةِ هذه المؤثرات -كما يعرِضُها الدينُ الحقُّ- بنتائجِ النظرياتِ والتصوراتِ الفلسفية المروَّجةِ في العصرِ الحديث، كما سبقت الإشارة بقدْرٍ يسير إلى الفلسفات؛ لفتح المجالِ للباحثين مستقبلًا.

المبحث الأول: (قُوى الإنسانِ المعرفيةِ)

الموجوداتُ حولَنا تصنفُ إلى قسمين:

القسم الأول: عالمِ الشهادةِ وهو كلُّ ما يمكنُ للإنسان اكتشافُه وإدراكُه بحواسِّه.

القسم الثاني: عالمِ الغيبِ (الميتافيزيقيا أو الماورائيات) وهو كلُّ ما أخبر اللهُ تعالى به أو رسولُه -صلى الله عليه وسلم- مما يخفى على الإنسانِ في غالبِ حاله ولا يمكن إدراكُه بحواسِّه المجردةِ، وأعظمُها: اللهُ سبحانه، وعوالمُ خَلَقَها كعالمِ الجن وعالمِ الملائكة.

ونصوصُ الوحي بعضُها يتعلقُ بعالَمِ الشَّهادةِ وبعضُها بعالمِ الغيبِ وبعضُها بينَ العالَمَيْنِ، وقد فطَرَ الحكيمُ سبحانه الناسَ على معارفَ ضروريةٍ يتفاوتون فيها بحسَبِ فضلِ اللهِ عليهم، فأرسلَ لهم الرسلَ ومنحَهُمُ القدرةَ، وأمَرَهُم باستعمال عقولِهِمْ وألّا يطمعوا في معرفةِ ما لم يُكشفْ لهم من الغيبِ أو يقولوا فيه بغيرِ علمٍ.

المِنَحُ المتعلقةُ بالمعرفةِ التي وهبها اللهُ للإنسانِ ليستكشفَ الكونَ حولَه نوعانِ:

أولًا: مواهبُ وقوىً عامةٌ أعطاها اللهُ لجميعِ الناس، ومنها:

- الفطرةُ وهي أساسُ ما يقيم حياةَ الإنسان.
- الحواسُّ وهي المنافذُ التي تستقبلُ المعارفَ، فهي وسائلُ لمعرفةِ عالَمِ الشهادةِ فقط.

- العقلُ وهو مرتبطٌ بإدراك المحسوساتِ والعلومِ الطبيعيةِ وحدها، أما ما كان من عالمِ الغيبِ الذي لا مدخلَ للعقلِ فيه، فإن دورَ العقلِ ينحصرُ في التحققِ من صدقِ مَن يُخبر عنه والتأكدِ من صحةِ نقلِه وفَهمِ مرادِه ومقصودِه.

ثانيًا: مواهبُ يتفاوتُ فيها الناسُ:

١. كشفُ شيءٍ من الغيبِ معجزةً مِن عندِ اللهِ لتأييدِ أنبيائِه ورسلِه، أو كرامةً أو إلهامًا أو رؤىً صادقةً؛ لتأييدِهم.
٢. الإلهامُ.
٣. التوسمُ والفراسةُ.

ومما يجبُ التنبيهُ عليهِ في هذا المقامِ أن العلمَ البشريَّ مهما اتسعَ؛ فإن القصورَ يعتريه، ويبقى الإنسانُ محتاجًا إلى جهودِ توجيهٍ توقظُ معارفَه الفطريةَ وتدلُّه على طريقِ العلمِ الذي وُلدَ وعنده الرغبةُ فيه ولديه أدواتُه، ويزدادُ معرفةً كلما نظرَ وتبصَّرَ، ثم يكونُ علمُه عُرضةً للنقصِ مع تقدُّمِ الزمانِ، فالإنسانُ محدودٌ بالزمانِ والمكانِ.

المبحثُ الثاني: (النفسُ الإنسانيةُ في نصوصِ الوحيِ)

معرفةُ الإنسانِ لحقيقةِ نفسِه وقواهُ والمؤثراتِ الخفيةِ عليها، تتعلَّقُ بأمورٍ هي غيبٌ ماضٍ، ومستقبلٌ بعيدٌ يمثِّلُ المصيرَ، وحاضرٌ تمتزجُ فيه عناصرُ الغيبِ والشهادة، وقد جاء في نصوصِ الوحيِ ما يخبرُ عن حقيقةِ النفسِ الإنسانيةِ.

النفسُ: ذاتُ الشيء وحقيقتُه، فنفسُ الإنسان جملتُه من الجسمِ والروحِ، وترِدُ بمعنى الروحِ التي تحصلُ بها الحياةُ للبدنِ، فعندما تزولُ نفسُ الإنسانِ تزولُ الحياةُ ويحدُثُ الموتُ.

وحقيقةُ الروحِ في علمِ الله تعالى، فالأَولى الوقوفُ عندَ حدودِ ما أخبرَ بهِ الوحيُ عنْها.

أما **العقلُ** فيطلقُ على الهيئةِ المحمودةِ للإنسان، والمعاني المجتمعةِ في الذهن، والقوَّةِ المهيَّئةِ لقَبولِ العلمِ التي يُدرِكُ بها الإنسانُ صفاتِ الأشياءِ، وقد دلَّ خبرُ الوحيِ على أنه نعمةٌ من اللهِ ومحلُّ التكليفِ، وبه يكونُ التدبيرُ والتمييزُ، أما ماهيَّتُه فلم يرِدْ فيهِ نصٌ معصومٌ.

القلبُ: يُفسَّرُ بالفؤادِ أو العقلِ أو هو عضوٌ في الصدرِ، وفي نصوصِ الوحيِ تدور معانيه حولَ الروحِ والعلمِ والعقلِ والشجاعةِ، وجعله اللهُ تعالى للإنسانِ محلَّ الصفاتِ الباطنةِ.

الفؤادُ: عُرّف بأنه القلبُ أو سويداؤه، فإذا جاء القلبُ والفؤادُ معًا فإنه إما يُحمَلُ على سبيل التأكيدِ أو أنَّ القلبَ أخصُّ من الفؤادِ في الاستعمال.

وخلاصةُ الأمر أن نصوصَ الوحي تبين طرفًا من حقيقةِ النفسِ الإنسانية، وتدلُّ على معانٍ متفاوتةٍ ومتداخلةٍ فيها، والعقلُ والقلبُ والفؤادُ جزءٌ من هذه الحقيقة، وهي صفاتٌ تُمكِّنُ الإنسانَ من الإدراكِ وتمييزِ الخيرِ من الشرّ، سواءً ترادفتْ معانيها أم تباينت.

المبحثُ الثالثُ: (حقيقةُ المؤثراتِ الخفيةِ في الإنسان)

كشفَ المنهجُ العلميُّ التجريبيُّ بعضَ المؤثراتِ الخفيةِ على النفس، إلا أن العلماءَ توقفوا عند حدودِ وضعِ الفروضِ المتفاوتةِ في مصداقيتها وكفايتها بحسَب تطبيقِها للمنهجِ العلميِ الصحيح، وإمكانِ الاستدلالِ عليها في عالم الشهادة، ويظلُّ الناتجُ المعرفيُّ منها مفتقرًا إلى حقائقَ قطعيةٍ، فالجوانبُ الغيبيةُ لا يُتوصَّلُ إليها إلا عن طريقِ الوحي بخلاف الأمورِ الظاهرةِ المُحسّةِ.

ولقد عرّف الوحيُ القوى الغيبيةَ المؤثرةَ على الإنسانِ بأنها قدرةُ اللهِ المطلقةُ، وعالَمَيِ الملائكةِ والجِنّ، فهذانِ عالَمانِ غيبيانِ حقيقيانِ موجودانِ، ويؤثّرانِ على الإنسانِ بـ:

- إعانتِه إما تأييدًا ونصرةً، وإما فتنةً واستدراجًا، وقد تأتي بطلبٍ من الله وقد تأتي بغير طلب، فاللهُ تعالى بقدرته يسخر الملائكةَ والجنَّ للإنسِ.
- وإما أن يتمثلوا للإنسان يقظةً أو منامًا، والملائكةُ تتمثل تأييدًا للمؤمنين بأمر الله، أما الشياطينُ فتتمثلُ للتربصِ بالناسِ؛ لإضلالِهم، وقد يكونُ التمثلُ في المنامِ أحلامًا ورؤىً، وقد تكونُ رؤيا صادقةً.
- وقد يكونُ تأثيرُ هذه القوى على الإنسانِ بالإلهامِ من اللهِ تعالى أو ملائكتِه بإذنِه سبحانه، وإلهامُ الأنبياءِ وحيٌ معصومٌ، وأما الوسوسةُ فمن الشيطانِ.

معرفةُ هذه القوى الغيبيةِ وكيفيةِ تأثيرِها في الإنسانِ له أعظمُ الأثرِ في حمايةِ الإنسانِ نفسِه من الوقوعِ في الفتنِ.

القوى الغيبيةُ المؤثرةُ على الإنسانِ من منظورِ الفلسفةِ:

من أهمِّ القوى التي قال بها روادُ الفلسفةِ الروحيةِ بقوالبَ جديدةٍ وكأنها نظرياتٍ علميةً:

١. **قُوى النفس:** وهي القوى الخفيَّة التي افترضوا وجودَها في النفس وبها فسروا الظواهرَ الخارقةَ للعادةِ في مجالِ العلم، أو التأثيرِ كالجلاءِ البصريّ ويسمونَه (بُعدَ النظرِ الروحي)، أو قدرةَ التأثيرِ على الأشياءِ الماديّةِ كتحريكِها عن بُعد، وهي بزعمهم تهيّئُ لصاحبِها النجاحَ في أن يمتلكَ مثل هذه المواهب ويكونُ بها نبيًّا أو كاهنًا أو ساحرًا خيّراً أو شريرًا بحسب طريقةِ استخدامِه لهذه القوى.

وقد اختلفوا في تقسيمها إلى عدةِ أقسامٍ، كما زعموا بظنهم أن الشياطينَ قوى النفس الخبيثة، وأنَّ الملائكةَ قوى النفسِ الصالحةِ، وأن كلَّ الناس لديهم هذه القوى وبإمكانهم تطويرُها حتى يصلوا للإنسانِ الكامل، وهذا قولٌ باطلٌ مبني على أصولٍ فاسدةٍ منها: إنكارُ الوحيِ والملائكةِ والجنّ أو حقيقتِهم، وقد انتشرت هذه الاعتقاداتُ بأسماءَ متنوعةٍ منها: القوى الكامنةُ، والقوى الروحيةُ، والخارقةُ، والحيويةُ.

٢. **العقلُ الباطنُ:** وهو فرضيةٌ حديثةٌ تعتمد على فكرة اللا شعور، الذي يمثِّلُ مكمنَ الرغباتِ المكبوتةِ، كما جُعل عند معتقديه منبعَ الحقائقِ العاليةِ والعبقريةِ والنبوةِ، ثم اتسع المعنى وغمُضَ حتى زعموا أنه جزءُ الله - تعالى الله عن ذلك - الذي حلَّ في الإنسان، فيمثِّلُ قوةً فوقَ نفسيةٍ مؤثرةً في سائرِ قوى النفسِ الأخرى، وهذا المفهومُ يتطابقُ مع عقيدةِ (العقلِ الكُلِّيِّ) الفلسفيةِ.

٣. **الجسمُ الأثيريُّ:** وهو عند معتقديه أحدَ أجسادٍ سبعةٍ يتكوّنُ منها كلُّ كائنٍ حي، ويمثِّلُ أصلَ الأجسادِ وأهمَّها، أما من ناحيةِ الشكلِ فهو توأمٌ للبدنِ إلا أنه مُشعٌّ وغيرُ مرئيٍ، يمكنُه المرورُ عبر الموادِ الفيزيائيةِ والاتصالِ بالعوالِمِ الأخرى، وتقعُ عليه مراكزُ تسمى (شاكرات) تزيدُ قوتَه وتؤثرُ في صاحبِه، ويتلقى عن طريقِها الطاقةَ الروحيةَ الكونيةَ التي هي سرُّ حياةِ الإنسانِ. وأصلُ هذه المعتقداتِ مأخوذٌ من الدياناتِ الوثنيةِ الشرقيةِ والمعتقداتِ السريةِ الباطنيةِ، التي تدعو إلى تنميةِ الجنسِ البشري؛ ليتمكنَ من فعلَ الخوارقِ دون أن يسمى كاهنًا أو متنبئًا أو ساحرًا، أو أن توهبَ له القدراتُ من مصدرٍ خارجي.

٤. **قوةُ النجومِ والأفلاكِ:** وتمثلُ هذه القوةُ لديهم قوةً عظمى مؤثرةً في الكونِ والإنسانِ والحياةِ، وقد جعل فلاسفةُ اليونانِ للأفلاكِ عقولًا ونفوسًا تُسيّرها وتحكُمُها، ثم ابتدعَ متأخرُوهم نظريةَ الفيضِ والصُّدورِ، وذكروا فيها العقولَ العشْرةَ التي تُصرِّفُ الكونَ، وفسَّرَ تلامذتُهم المنتسبونَ إلى الإسلامِ كابنِ سينا، اللوحَ المحفوظَ بالقوّةِ الفلكيّةِ التي عدَّها مصدرَ العلمِ بالغيبِ. والذين يؤمنونَ بالكواكبِ يدّعونَ تَنزُّلَ أشخاصٍ عليهم، ويسمُّون ذلك بروحانيةِ الكواكبِ وما هي إلا شيطانٌ نزلَ عليهم بشركِهم.

ومن أبرزِ أسماءِ التنجيمِ الحديثةِ **"الطاقةُ الكونيةُ"** التي تُكسِبُ الإنسانَ بزعمهمْ قوىً خارقةً توصِلُه إلى الصحةِ والروحانيةِ والسعادةِ، ويُنشَرُ التنجيمُ كبرامجَ تدريبيةٍ، أو علاجية وتشخيصيةٍ تُمكّنُ الإنسانَ من التعاملِ مع هذه القُوى.

وقد تقترنُ أحداثٌ أرضيةٌ بأحداثٍ فلكيةٍ فيفتَتِنَ الناسُ بالنجومِ فيظنُّونَ صحةَ معتقداتِهم الباطلةِ، لذا وجبَ التأكيدُ على أنَّ مجردَ اقترانِ الشيءِ بالشيءِ بعضَ الأوقات مع انتقاضِه، ليسَ دليلًا على الغَلَبةِ باتفاقِ العقلاءِ، والعلمُ بأن أمرًا ما هو السببُ أو بعضُ السببِ أو شرطُ السببِ، في الأمورِ الحادثةِ قد يُعلمُ كثيرًا، وقد يُظنُّ كثيرًا، وقد يُتوهَّمُ كثيرًا، وإنَّ فيما شرعَ اللهُ تعالى وأباح للناسَ من الأسبابِ مايُغني عما فيه من نفعٍ، وكل ما يُعتقَدُ في النجومِ وأن ما يحدُثُ في العالَمِ مِن حركتِها ضلالٌ باطلٌ.

والصحيحُ شرعًا فيها أنه يُهتدى بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ، ويُعرَفُ بالشمسِ والقمرِ عددَ السنينَ والحسابَ، وبها دلالةٌ على قدرةِ اللهِ وحكمتِهِ.

وفي الختامِ نلخِّصُ أهمَّ النتائجِ التي جلّتْها الدراسةُ:

١. معرفةُ حقيقةِ الإنسانِ وما يؤثرُ فيه لا تكتملُ إلا بمعرفةِ نصوصِ الوحيِ الحقِّ.

٢. وراءَ أكثرِ التصوراتِ الفلسفيةِ عن الإنسانِ والكونِ جهلٌ مطبقٌ بخبرِ الوحيِ وهداياتِه.

٣. أعظمُ المؤثراتِ الغيبيةِ على الإنسانِ: قدرةُ اللهِ المطلقةُ ثم تأثيرُعالَمَيّ الملائكةِ والجنِّ بإذنِ اللهِ تعالى.

٤. تخبُّطُ كلِّ مَنِ انحرفَ عنِ الإيمانِ بالغيبِ، ووقوعُهم في ضروبٍ من الخرافاتِ أو البدعِ أو الشركِ.

تمَّ بحمد الله